

الخط العربي وتطوره

دكتور سليم طارق

وقد انبثقت سائر الخطوط السامية والفينيقية من هذا الخط الهيروغليفي.

ومن المعلوم أن العرب لم يعرفوا الكتابة بالخط العربي الذي يستعمل اليوم إلا قبل الإسلام بقرن واحد. وقد بذل العلماء والباحثون أقصى جهدهم لمعرفة بداية تاريخ الخط العربي بيد أن معظم الدراسات في هذا الشأن تعتمد على الأساطير الشائعة بين العرب قبل الإسلام. وأهم ما توصل إليه بعض الباحثين هو أن سيدنا آدم ^(١) عليه السلام كان أول من وضع الخط العربي بينما يرى الآخرون أن الخط العربي أنزل على سيدنا هود عليه السلام ^(٢).

الخط والكتابة عند ابن خلدون من عداد الصنائع الإنسانية. وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس ^(٣). فالكتابة والقراءة من مظاهر العمران والتمدن فإذا كثرت العمران احتاجت الأمم إلى الكتابة. وأسبق الأمم إلى التمدن والعمران، المصريون والفينيقيون.

وكان المصريون القدماء قد اعتمدوا الكتابة الهيروغليفية (والهيروغليفية كلمة يونانية معناها الكتابة المقدسة المحفورة وهي كتابة تصويرية اعتمدها المصريون القدماء. فك رموزها العالم الفرنسي شامبوليون).

الأستاذ المساعد / قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بهاولپور

فتعلمه منهم قوم من أهل الأنبار. وكان بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب عبد الجن الكندي ثم السكوني صاحب دومة الجندل يأتي ويقسم بها حين فكان نصرانيا فتعلم بشر الخط العربي من أهل الحيرة ثم أتى مكة في بعض شأنه فراه سفيان بن أمية ابن عبد الشمس وأبو قيس بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب يكتب فسألاه أن يعلمهما الخط وعلمهما الهجاء ثم أراهما الخط فكتبا ثم إن بشرا وسفيان وأبو قيس أتوا الطائف في تجارة وصحبهم غيلان بن سلمة الثقفي فتعلم الخط منهم وفارقهم بشر ومضى إلى ديار مضر فتعلم الخط عمرو بن زرارة بن عدس فتسمى عمرو الكاتب. فأتى بشر الشام فتعلم الخط منه ناس هناك وتعلم الخط من ثلاثة لطائيين أيضا رجلا من طابجة كلب فعلمه رجلا من أهل الوادي القرى فأتى الوادي فيتردد فأقام بها وعلم الخط قوما من أهلها^(٦).

ويؤيد ابن فارس والإمام السيوطي هذه النظرية الأسطورية حيث قالوا بأن "الخط توقيفي" مستدلين بقوله تعالى: ﴿الذي علم بالقلم﴾ علم الإنسان ما لم يعلم * ﴿وبقوله تعالى: ﴿ن﴾ والقلم وما يسطرون﴾^(٤)

ولكن ابن خلدون يخالف هذه النظرية ورأيه: أن الخط العربي قد اقتطع من الخط المسند الحميري والتبابعة يستعملون الخط المسند في جنوب العرب قبل الإسلام، ويعرف هذا بالخط الجزم لانفصال حروفه، وانتقل هذا الخط الحميري في عصر دولة التبابعة إلى الحيرة ومن الحيرة تلقاه أهل مكة والطائف^(٥)

والنظرية الثالثة مبنية على رواية ذكرها البلاذري أنه اجتمع ثلاثة نفر من طيء ببيعة وهم مرامر بن مرة وأسلم بن سدره وعامر بن جدرة فوضعوا الخط ففاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية

الكوفة فسمي الخط بالكوفي نسبة إلى هذا البلد.

ولكن صلاح الدين المنجد لا يوافق على هذه النظرية حيث يقول:

"إن الحيرة كانت لا شك مركزاً حضارياً ولكن أهل الحيرة تدينوا بالنصرانية وهم يكتبون بالسريانية أو ما يقاربها ولم تصل إلينا شيئاً من نصوص الخط الحيري والأنبار لنقارن بينها وبين الخط العربي القديم. والدراسات المقارنة بين الخط العربي والخط الحيري دلت على أنها لا علاقة بينهما فهناك اختلاف كبير في شكل الحروف وتركيب الكلمة"^(٩).

ورأي هذا الباحث الفاضل يخالف الروايات التاريخية، فهذا شيء معلوم أن أهل الحيرة والأنبار كانوا يستعملون في كتاباتهم العادية خطأً يشبه الخط الذي كان شائعاً في العصر الأموي، ورواية حماد الراوية التي نقله السيوطي في المزهري وهو

والنظرية الرابعة: إن الخط العربي - عند أكثر الباحثين المستشرقين والعرب - ولا سيما الخط الكوفي قد اقتطع من الخط السرياني الأسطرنجيلي^(٧) ويقولون: إن القريش لم تكن تعرف الخط المسند بل كانوا يكتبون بالخط الجزم ويسمونه بالخط الجزم لأنه جزم عن الخط الأسطرنجيلي الشاعر الكندي من أهل دومة الجندل ويمن على قريش فيقول:

لا تجحدوا نعماء بشر عليكم
فقد كان ميمون النقية أزهر
أناكم بخط الجزم حتى حفظتم
من المال ما قد كان شتى مبعثرا
فأجريت الأقاليم عوداً وبراة
وضاهيت كتاب كسرى وقيصرا
وأغنيتم عن مسند الحي حميرا
وكتبت في الصحف أقلام حميرا^(٨)

وما زال يعرف هذا الخط بالخط الجزم قبل الإسلام حتى اختط المسلمون

أولاً: إن الحروف السريانية في الكلمة الواحدة تكتب مفصولة بينما تربط الحروف العربية بعضها ببعض.

ثانياً: إن كثيراً من الحروف العربية لا يوجد لها مثيل في الحروف السريانية.

ثالثاً: الحروف العربية القديمة كانت خالية من النقط بينما كانت الحروف السريانية منقوطة.

هناك اختلاف كبير في شكل الحروف وتركيب الكلمات بين الخط العربي والخط المسند وفروعه.

علاوة على ما قلناه آنفاً فإن الدراسات الحديثة والبحوث تفيد حتى الآن، بأن الخط العربي وضع قبل الإسلام بقرون عديدة وأن الخط العربي مشتق من الخط النبطي.

وأصح القول أن الخط العربي يعد آخر شكل للخط النبطي، وهذه النظرية

يقول: "أمر النعمان بن المنذر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج وهي الكراديس ثم دفن في قصره الأبيض فلما كان المختار الثقفي، قيل له: إن في القصر كنزا فاحتفزه فأخرج تلك الشعار فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة" (١٠).

فهذا يدل على أن الخط الحيري كان يستعمل في العصر الأموي كما أن الدراسات العلمية الحديثة القائمة على المقارنة بين الأبجديات السامية والاكتشافات للكتابة العصرية رجحت أن الخط العربي القديم مشتق من الخط النبطي الذي كان شائعاً في شمال جزيرة العرب وشرقها، فالخط العربي هو آخر شكل من الخط النبطي.

وفيما يلي بعض الدلائل القوية التي تثبت عدم وجود أي علاقة بين الخط العربي والخطين السرياني والحميري:

الشام ومكة ويثرب حتى ظهور الإسلام
وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وتتبعها
قوافل الحجاج بين الشام ومكة ولذلك ما
زالت عرب الشمال تمرّ دائماً على مدائن
صالح وبلاد الأنباط. ورحلاتهم وكثرة
اختلاطهم بالأنباط جعلتهم متأثرين
بحضارتهم وطريقتهم في الكتابة.

فى القرن الأول سيطرت الأنباط
على دمشق ولبنان COELESYRIA
وكذلك سيطرت على سائر الطرق
التجارية بين شمال الجزيرة وجنوبها^(١٤)
وكانت الأنباط من العرب وهم يتكلمون
اللغة العربية، تأثروا بالحضارة الآرامية
فأخذوا عنهم الخط الآرامى وطوّروه وظلت
غلبة الأنباط ومملكتهم إلى أوائل القرن
الثاني بعد الميلاد حيث هزمت تراجن
TRAJAN في سنة ١٠٥م وسيطر على
بلادهم، ولكن ما زالت الحضارة النبطية
قائمة وما زالت قوافل الأنباط التجارية تمرّ
على مكة ويثرب في رحلاتهم بين شمال

تفند بناء على رواية البلاذري المتقدمة
ذكرها والمقارنة بين النقوش " بأم الجمال "
النمارة وزبد وحران وغيرها وبين الخط
العربى. ولكن المستشرق الشهير بلاشير
يخالف هذه النظرية بقوله: " إن هذه الكتابة
- أى كتابة زبد - تختلف جداً عن نقوش
النمارة جديدة بتسميتها عربية لأنها تحوي
جميع مظاهر الكتابة العادية^(١١) "

عدّ المؤرخون أن الأنباط كانت من
العرب في العصر الهيلينى أغاروا على البلاد
الآرامية في فلسطين وجنوب الشام ثم
دخلوا شرق الأردن^(١٢).

كانت لهم حضارتان. سلع، وبتراء
في الشمال والحجر ومدائن صالح في
جنوب. وكانت هذه المنطقة يومئذ عامرة
بالأشجار والمياه وفى القرن الرابع قبل
المسيح يهيمنون على الطرق التجارية^(١٣).

والطرق التجارية كانت تمرّ على
مكة ويثرب وما زالت القوافل تسلكها بين

(٢) تستعمل أشكال بعض الحروف في أوائل الكلمات تخالف أشكالها إذا جاءت في آخر الكلمة كالهاء والياء.

(٣) الحروف النبطية خالية عن نقط الإعجام.

(٤) تاء التأنيث لا تكتب بالهاء مدورة بل تكتب بالتاء المبسوطة مثل:

أمة تكتب أمت

حبة تكتب حبت

(٥) الفتحة الممدودة لا ترسم ألفا في الكتابة مثل:

ثلاث تكتب ثلث

ثلاثين تكتب ثلثين

حارث تكتب حرث^(١٧)

كذلك فإن الدراسة المقارنة بين المصاحف التي كتبت في عهد سيدنا عثمان

الجزيرة وجنوبها إلى بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم. كانوا يردون المدينة يجلبون الطعام وكتب بكتابة الأنباط^(١٥) العرب الشماليون بعد زوال مملكة بعدة قرون. كانت الكتابة النبطية مستمرة في التطور حتى انتهى التطور إلى الكتابة العربية الجاهلية. والصورة الأولى للخط العربي الجاهلي لا تبعد كثيرا عن صورة الخط النبطي في أواخر مراحل^(١٦).

مميزات الخط النبطي:

إن دراسة الخط النبطي ومقارنته بالخطوط الأخرى تظهر العلاقة التي بينه وبين الخط العربي الجاهلي، حيث أنه قد ظهرت بعض مميزات بعد دراسة الكتابات المكتشفة وأهمها:

(١) تربط حروف الكلمة الواحدة بعضها ببعض إلا الحروف التي تليها كالدال والزاي والواو وغيرها.

أذقنا الإنسان - أذقنا الإنسن

الصالحات - الصلحت^(١٨)

(٢) صورة أخرى لمصحف موجودة

في المتحف البريطاني ورقمه ٢١٦٦ -
OR. ويرجع هذا المصحف إلى أواخر
العصر الأموي. وهو مشكول أحيانا
وكتبت فيه الفتحة المشبعة أيضا بغير ألف:

في أعناقهم أغلالا - في أعنقهم أغلالا

فأغشيناهم - فأغشينهم

قالوا - قلوا

يا قوم - يقوم^(١٩)

(٣) في مصحف طشقند الذي

ينسب إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله
عنه فأثبتت فيه أن الفتحة المشبعة مكتوبة
بغير ألف:

وعلى رضي الله تعالى عنهما وفي العصر
الأموي تظهر أن سائر الخصائص التي درسنا
في الميزات قد انتقلت بعينه إلى الخط العربي
القديم.

ويقدم لنا الدكتور صلاح الدين
المنجد صاحب كتاب "دراسات في تاريخ
الخط العربي" صوراً مختلفة للمصاحف
القديمة كتبت بالخط المكي، والأموي
وعصر خلفاء الرشدين. وبعد ملاحظة
نماذج هذه المصاحف نجد أن خصائص
الخط النبطي واضحة في الخط العربي
القديم:

(١) ورقة من مصحف قديم كتب
بالخط المكي ويوجد هذا المصحف الآن
بالمفاتيكان تحت رقم ١٦٠٥ وهو أقدم
المصاحف في العالم فقد كتبت في المصحف
الفتحة المشبعة بدون ألف:

كتاب مبین - كتب مبین

فذكر أبو داؤد جميع الكلمات التي
اتفق جميع النساخ على رسمها من سورة
الفاتحة إلى سورة ن.

الحاكمين - الحكمين

يا شعيب - يشعيب

كارهين - كرهين

تجاننا الله - نجنا الله^(٢٠)

الخط المكي:

لم تصل إلينا نماذج كتابات من
العصر الجاهلي لكن يذكر ابن النديم أنه
كان في خزانة المأمون الخليفة العباسي
كتاب بخط عبد المطلب في جلد من ادم
يذكر فيه ديننا لعبد المطلب على أحد رجال
اليمن^(٢٢). ونجد في تاريخ الأدب العربي أن
العرب اختارت بعض قصائد الشعراء
الجاهليين ثم علقوها بالكعبة إعجاباً بها
وإشارة ذكرها وقد بقي بعضها إلى يوم
الفتح^(٢٣). قال ابن هشام صاحب السيرة:
فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلداً أصابوا
به أمناً وقراراً وأن النجاشي قد منع من لجأ
إليه منهم وأن عمر قد أسلم فكان هو
وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله صلى

يقول ابن أبي داؤد السجستاني: إن
محمد بن عيسى الإصفهاني أجمع كتاب
المصاحف المدنية والكوفية والبصرية وما
يكتب بالشام وما يكتب بمدينة السلام ولم
يختلف في كتابة من مصاحفهم فكتبوا:

نعمة الله - نعمت الله

يرجون رحمة الله - يرجون رحمت

الله

الطاغوت - الطغوت

امرأة فرعون - امرأت فرعون

سنة الأولين - سنت الأولين^(٢١)

وحويطب بن عبد العزى وأبو سفيان بن
حرب بن أمية ومعاوية بن أبي سفيان
وجهم بن الصلت ومن حلفاء قريش العلاء
ابن الحضرمي^(٢٥).

وكانت تكتب من النساء أما
المؤمنين حفصة وأم سلمة، والشفاء بنت
عبد الله العدوية وأم كلثوم بنت عقبة
وكرمة بنت المقداد^(٢٦).

وروى البخاري ومسلم وغيرهما أن
ورقة بن نوفل كان يكتب الكتاب العربي
والكتاب العبراني، وكان يكتب من الإنجيل
بالعربية وأسماء من أهل مكة الذين يعرفون
الكتابة بالعربية ليس بقليل مع أن البداوة
كانت غالبية على العرب، والحضارة كانت
أوسع في مكة من حولها من البدو، ومع
ذلك نجد أسماء رجال من القبائل يكتبون
بالخط العربي فمنهم شرحبيل بن حسنة من
طائفة وحظلة بن رباح الأسيري من تميم
وسمى النبي صلى الله عليه وسلم حظلة

الله عليه وسلم وأصحابه وجعل الإسلام
يفشوا في القبائل، اجتمعوا واثتمروا أن
يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم
وبني عبد المطلب على أن لا ينكحوا إليهم
ولا ينكحوهم ولا يبيعوا شيئا ولا يتاعوا
منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في الصحيفة
ثم تعاهدوا وتوثقوا على ذلك ثم علقوها
في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم^(٢٤).

ونجد في كتب الحديث والتاريخ أنه
كان بمكة رجال ونساء يعرفون الكتابة،
ذكر البلاذري في كتابه أنه دخل الإسلام
من قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتبون،
فمنهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي
طالب وعثمان بن عفان وأبو عبيدة بن
الجراح وطلحة ويزيد بن أبي سفيان وأبو
حذيفة بن عتبة بن ربيعة وحاطب بن عمرو
أخو سهيل بن عمرو العامري وأبو سلمة
بن عبد الأسد المخزومي وأبان بن سعيد بن
العاص بن أمية وخالد بن سعيد أخوه
وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري

وقد ذكر صاحب فتوح البلدان أن بعض اليهود كانوا يعلمون الصبيان الكتابة العربية وكان كثير من الناس من الأوس والخزرج يكتبون العربية. وزيد بن ثابت الأنصاري كان يكتب العربية والعبرانية^(٢٩). وبعض من أهل يثرب يعرف الكتابة العربية والعبرانية والسريانية فتعلم زيد بن ثابت الأنصاري الكتابة العبرانية والسريانية بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأيضاً كان عبد الله بن عمرو بن العاص يكتب بالعربية والعبرانية^(٣٠).

روى الإمام أحمد في مسنده وأبو عبيدة في كتابة الأموال في فداء أسارى بدر أنه كان منهم من فدائه أن يعلم الغلمان الكتابة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة بن صامت وعبد الله بن سعيد بن العاص أن يعلموا الناس الكتابة^(٣١).

بخطلة الكاتب. وذكر البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استكتب رجلاً من دئل في كتاب الأمان لسراقة بن جعشم خلال سفر الهجرة^(٣٢).

إن الخط العربي المكي هو الخط الذي انتقل من الأنباط ثم غير تغييره وابن النديم يسميه بهذا الاسم أي الخط المكي. وهذا من أوّل الخطوط العربية وأن القرآن الكريم كان يكتب في هذا الخط قبل الهجرة ولكن لم نعثر على شيء من نمودجه.

الخط المدني:

بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقيامه بها استكتب من الناس الوحي فمنهم شرحبيل بن حسينة وجهيم بن الصلت وخالد بن سعيد والعلاء ابن الحضرمي. ومن الأنصار أبي بن كعب وزيد بن ثابت كانا يكتبان الوحي^(٣٣).

وتدل على ذلك النصوص الموثوق بها التي وصلت إلينا عن رسم القرآن أي رسم المصاحف المرسلة إلى الأمصار ثم إن الخصائص التي امتازت بها الكتابة النبطية المتطورة قد انتقلت إلى الخط العربي في مكة والمدنية وبالتالي إلى رسم المصاحف^(٣٥).

مميزات الخط المكي المدني:

نجد في الخط المكي والمدني سائر خصائص الخط النبطي المتطور في آخر مراحله:

(١) حذف الألف رسماً في الفتحة المشبعة في أكثر الكلمات.

(٢) ربط الحروف في الكلمة الواحدة.

(٣) اختلاف شكل بعض الحروف إذا جاءت في ابتداء الكلمة وفي نهايتها.

(٤) عدم إعجام الحروف.

إن الخط المكي والخط المدني اسمان لخط واحد وليس بينهما فرق أصلي إلا أن الخط المدني قد يكون أكثر اتقاناً من الخط المكي لأنه اجتمع كثير من الكتاب في المدينة وقد كثرت الكتابة فيها وسمي الخط المدني أيضاً بالخط الوراقي والمحقق وهو الخط الذي كتبت فيه الصحف الصديقية والمصاحف العثمانية سماه صلاح الدين المنجد بالخط المدني الذي كان بالمدينة^(٣٦).

وقال القلقشندي: إن هذه المصاحف كتبت بالقلم الطومار أو الجليل المبسوط^(٣٧).

ويعد ابن النديم الخط الجليل من أبي الأقلام، ونقل "القلقشندي: قلم الطومار قلم مبسوط كله ليس فيه شيء مستدير... وكثير ما كتبت به مصاحف المدينة^(٣٨).

ويعتقد صلاح الدين المنجد أن هذا الخط الذي كتبت فيه المصاحف يشبه آخر مراحل تطور الخط النبطي اليابس ويشبه رسائل النبي صلى الله عليه وسلم ولا نقول أنها كتبت بالخط الكوفي بل بالخط المدني

الكوفة، فلا شك أن ^٢
تقاليد الخط السرياني في
وطبقوها على الحجاز
الذي ظهر في الكوفة هو وليد الصنعة والفن
المقتبس من الحضارة السابقة^(٣٦).

ويتساءل صلاح المنجد قائلاً:

" هل كان الخط الكوفي وقبله الخط
المكي والمدني أم قبلها الخط النبطي العربي
المتطور بأبسا فقط "

وأجابه ابن مقلة بقوله: " إن للخط
الكوفي طرائق كثيرة ترجع إلى نوعين
أساسيين:

(١) الخط اليابس المبسوط الذي
ليس فيه شيء مستدير.

(٢) الخط المستدير^(٣٧).

نقل القلقشندي أيضاً أن الخط
الكوفي فيه عدة أقلام مرجعها إلى الأصلين

(٥) وابن النديم يشير إلى الميزة
الأخرى للخط المكي والمدني ألفاته تعويج
إلى يمنة وأعلى الأصابع وشكله انضجاع
يسير ويلاحظ خصائص الخط المدني في
رسائل النبي صلى الله عليه وسلم التي
نشرها الدكتور محمد حميد الله.

الخط الكوفي:

قد افتتحت العراق في زمن أبي
بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله
عنهما واختطت الكوفة بأمر الخليفة الثاني
عمر بن الخطاب سنة ١٧ من الهجرة ولقد
كانت الكوفة على بضع أميال من مدينة
الحيرة القديمة عاصمة الملوك المناذرة وقد
انتقل بعض الصحابة إلى الكوفة وأقاموا
بها. ونقل الصحابة القادمون من المدينة
خطهم الذي يكتبون فيه والخط الكوفي هو
التحسين الفني الهندسي لذلك الخط المدني
المتطور من الخط العربي القديم. وباقيات
الخط السرياني في الحيرة موجودة في جوار

رسائل النبي صلى الله عليه وسلم
وكتابات على أوراق البردي عن عصر
الخلفاء الراشدين هي أقرب للخط المدور
منه إلى الخط اليابس فأخذ صلاح الدين
المنجد منها ثلاثة نتائج^(٤١).

(١) أن الخط القريب المستدير أو
اللين كان في المدينة مع الخط اليابس.

(٢) أن الخط اليابس واللين وصلا
إلى عرب الحجاز من الكتابة النبطية المتطورة
وأنها مضيا في طريق التطور حتى اشتقت
منها أنواع وظهرت منها طرائق أخرى.

(٣) ينبغي لنا أن نفهم من الخط
الكوفي أنه الخط اليابس وحده كما هو
شائع، فهذا المفهوم يناقض الدراسات العلمية
الحديثة التي قام بها كاتينيو
CANTINEAU والنتائج التي وصل
إليها.

المتقور والمبسط^(٣٨). فالمتقور هو المعبر عنه
الآن باللين كالثلث والرقاع. والمبسوط وهو
المعبر الآن باليابس كالحقق.

قال القلقشندي في موضع آخر في
معنى الكوفي اليابس أو المبسوط: هو ما لا
انخساف فيه ولا انحطاط. المحقق الكوفي
اللين المدور هو الذي تكون عراقيته وما في
معناه منحطة إلى الأسفل كالثلث
والرقاع^(٣٩).

الخط النسخي:

وصل الباحثون إلى نتائج دراساتهم
المقارنة للخط العربي والنبطي أن بعض
الحروف عند النبط شكلا مستقيما يابسا
وآخر يشبه النسخي معا مثل الباء والهاء
والواو والذال والياء والكاف واللام والألف
والميم والعين والقاف والصاد فلا شك أن
العرب الحجازيين استعملوا الحروف في
شكليها معا^(٤٠).

فلا تصح عندنا نظرية بلا شير ريجس
BLACHERE REGIS أن الكتابة
العادية السريعة هي التي تطورت في مصر
والتي ظلت بعيدة عن التأثيرات السريانية
محتفظة بحرية مظهرها وتبدو كأنها الوريثة
الوحيدة للأنباط^(٤٢).

وليس كما قال هذا المستشرق أن
الخط المدور تطور في مصر خلال الفتوح
الإسلامية. بل لا شك أن هذه الكتابة
المدورة قد نقلها الصحابة القادمون من
الحجاز إلى مصر، ورسائل الأمراء
والكتابات العامة العادية كانت تكتب في
هذا الخط المسندير السريع الخط اليابس
الذي امتاز من بعد بالخط الكوفي اختص
بكتابة المصاحف وتزيين المباني والمسلات،
وما زالت المصاحف تكتب بالخط الكوفي
بقرون عديدة حتى جاء ابن البواب فروج
كتابة المصاحف بالخط النسخي^(٤٣).

كان خلفاء بني أمية يكتبون رسائلهم
في القلم الجليل والطومار إلا عمر بن
عبد العزيز فإنه كان يكره استعمال الطومار
فكانت كتبه إنما هي شبرا أو نحوه^(٤٤).

كان مالك بن دينار المتوفى سنة
١٣٠هـ ومطر من النساخ المشهورين في
العصر الأموي، وكانا يكتبان المصاحف
ويأخذان الأجرة على كتابة المصاحف. قال
مالك بن دينار: دخل عليّ جابر بن زيد
(أبو الشعثاء) وأنا أكتب المصحف قال لي:
مالك صنعة إلا أن تنقل كتاب الله من
ورقة إلى ورقة هذا والله كسب الحلال هذا
والله كسب الحلال. وكان مالك ومطر
يكتبان المصاحف ولا يشارطان فما أعطيا
من شيء قبلاه^(٤٥).

وأول من كتب المصاحف في الصدر
الأول ويوصف بحسن الخط خالد بن أبي
الهياج وكان يكتب المصاحف والشعر
والأخبار للوليد بن عبد الملك وهو الذي

كتب الكتاب في قبلة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالذهب وقال ابن النديم: إنه رأى مصحفا بخطه.

وكان شعيب بن أبي حمزة الأموي مولاهم من الكتاب المشهورين بأناقة الخط في العصر الأموي، وكان يعدّ من فحول رواة الحديث أيضا. وكان يكتب الحديث عن الزهري لهشام بن عبد الملك، وكان أثبت الناس في الزهري، وكانت له كتب جمع فيها أحاديث الزهري المتوفى سنة ١٢٥هـ. وكان من شيوخ البخاري بواسطة وبقيت كتب شعيب بن أبي حمزة إلى القرن الثالث ورآها الإمام أحمد بن حنبل^(٤٧).

وقد نقل البخاري في الجامع الصحيح جميع الأحاديث المتصلة من كتب شعيب. قدم لنا صلاح لدين المنجد نماذج لبعض المصاحف التي نسخها حديج بن معاوية^(٤٨) المتوفى سنة ١٧٠هـ وخطه أقرب إلى الخط المدور النسخي منه إلى

الكوفي^(٤٩). وكان أبو علي محمد بن علي ابن مقلّة المتوفى سنة ٣٢٥هـ وأخوه أبو عبد الله الحسن بن علي بن مقلّة المتوفى سنة ٣٣٨هـ من الكتاب المشهورين في العهد العباسي. وهذان الرجلان لم ير مثلهما في الماضي وعلى خط أبيهما كتب ورأى ابن النديم مصحفا بخط ابن مقلّة^(٥٠).

وقد انتهت جودة الخط النسخي وحسنه إلى ابن مقلّة وقد ترك آثار الهندسة الرائعة في أصول الحزوب وبها أخذ الخط نصيبه الأول من الهندسة والضبط والوزن وقدر مقياس الحروف المفردة بحرف الألف. وأول من بلغ بالثلث والنسخ هذا المبلغ من الكمال هو ابن مقلّة^(٥١) ولم يوجد في المتقدمين ولا في المتأخرين من كاتب مثله ولا قاربة^(٥٢)..

وقد أتقن ابن مقلّة الخط النسخي وروّجه ثم جاء بعد ابن مقلّة ابن البواب

CHESTER BEATTY
LIBRARY OF THE UNIVERSITY
OF DUBLIN IRELAND

وهذا المصحف الفريد هو أقدم
المصاحف كتبت بالخط النسخي ثم شاع
الخط في سائر الأقاليم الإسلامية.

وهو أبو الحسن علي بن هلال، وهو الذي
بلغ بالخط النسخي منتهى الحسن والجودة
والإتقان ونسب إليه ابن الغوطي المعجزات
في حسن خطه^(٥٣).

قال أبو حيان التوحيدي: فرأى ابني
مقلة أنهما قد أتقنا قلمي التوقيعات والنسخ
ولكن لم يرسخا رحمهما الله إتقانهما ذلك
الرسخ فأكمل معناهما^(٥٤).

قال ابن كثير في خط ابن البواب: أما
خطه وطريقته فيه فأشهر من أن أنبه عليها
وخطه أوضح تعرييا من خط ابن مقلة ولم
يكن بعد ابن مقلة أكتب منه وعلى طريقته
الناس اليوم في سائر الأقاليم إلا القليل^(٥٥).

وأول من كتب المصحف بالنسخ هو
ابن البواب وكان قد نسخ المصحف أربعة
وستين مرة^(٥٦). ويوجد مصحف بخطه
بمكتبة جستر بيتي بدبلن^(٥٧).

بدمشق، تعريب الدكتور إبراهيم الكيلاني
(ص/٧١)

مراجع البحث

- [١] ابن خلدون - مقدمة ابن خلدون - المطبعة
الادبية طبعة ١٩٠٠، (ص/٢٧)
- [٢] ابن النديم - الفهرست - المطبعة التجارية
الكبرى بمصر ١٣٤٨هـ (ص/٦)
- [٣] الفلقشندي أبو العباس أحمد، صبح
الأعشى، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية،
١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م، (٨:٣)
- وجلال الدين السيوطي، المزهري علوم اللغة
وأنواعها، مكتبة محمد علي بمصر - طبعة
قديمة، بدون تاريخ (٢: ٢١٤، ٢: ٢١٩)
- [٤] المزهري (٣: ٢١٥)
- [٥] مقدمة ابن خلدون (ص/٤١٨)
- [٦] البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر
البغدادى، فتوح البلدان - دار الكتب العلمية
بيروت - ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م (ص/٤٥٦)
- [٧] نفس المرجع
- [٨] نفس المرجع
- [٩] الدكتور صلاح الدين المنجد، دراسات في
تاريخ الخط العربي - دار الكتاب الجديد
بيروت ١٩٧١م (ص/١٣)
- [١٠] المزهري (١: ١٤٨)
- [١١] الدكتور ريجس بلاشير المستشرق، تاريخ
الأدب العربي (العصر الجاهلي) دار الفكر
- [١٢] دراسات في تاريخ الخط العربي (ص/١٣)
- [١٤] نفس المرجع و، Encyclopedia
Britanica, (Nahataeans)
- [١٥] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح
الباري بشرح صحيح البخاري تحقيق
عبد العزيز عبد الله بن باز، دار نشر الكتب
الإسلامية بلاهور، طبعة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م
(٨: ١١٥)
- [١٦] دراسات في تاريخ الخط العربي (ص/١٩)
- [١٧] نفس المرجع،
- [١٨] نفس المرجع (ص/٢٥)
- [١٩] نفس المرجع (ص/٢٦)
- [٢٠] نفس المرجع (ص/٥١)
- [٢١] أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن
أشعث، كتاب المصاحف - صححه الدكتور
آثر جعفرى، المطبعة الرحمانية بمصر - الطبعة
الأولى ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م (ص/١٠٨)
- [٢٢] الفهرست، (ص/٧)
- [٢٣] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي
مطبعة الرسالة - الطبعة الحادية عشرة
(ص/٢١)
- [٢٤] أبو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب
الحميري، السيرة النبوية. تحقيق مصطفى

- [٤٢] تاريخ الأدب العربي (الزيات) ص/٧٥
- [٤٣] نفس المرجع
- [٤٤] دراسات في تاريخ الخط العربي، ص/٨٣
- [٤٥] كتاب المصاحف - ص/١٣١-١٣٢
- [٤٦] الفهرست ص/٩
- [٤٧] دراسات في تاريخ الخط العربي، ص/٨٣
- [٤٨] صفى الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي، خلاصة تذهيب تذهيب الكمال، تحقيق محمد عبد الوهاب فائد المكتبة الأثرية سانكلال، باكستان، بدون تاريخ، (٣٦٨:١)
- [٤٩] دراسات في تاريخ الخط العربي، ص/٨٣
- [٥٠] الفهرست ص/١٤
- [٥١] بدائع الخط العربي، ص/٢٥
- [٥٢] ابن خلكان وفيات الاعيان ٢/٢٨
- [٥٣] بدائع الخط العربي، ص/٣٥
- [٥٤] نفس المرجع
- [٥٥] أبو الفداء أسماعيل بن عمر قرشي، البداية والنهاية، المكتبة القدسية لاهور، باكستان (١٣:١٢)
- [٥٦] 357. p. The cultural Atlas of Islam
- [٥٧] نفس المرجع
- السقاء، عبد الحفيظ الشبلي، مصطفى البابي الحبلي، ١٣٥٥ هـ/١٩٣٦ م (٢١٩:١)
- [٢٥] فتوح البلدان (ص/٤٥٧)
- [٢٦] ناجي، زين الدين المصرف، بدائع الخط العربي (ص/٣٢)
- [٢٧] فتح الباري (٢٥:١)
- [٢٨] كتاب المصاحف (ص/٣) وفتوح البلدان (ص/٤٥٨)
- [٢٩] فتوح البلدان (ص/٤٥٩)
- [٣٠] ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة - مطبعة السعادة بمصر طبعة ١٣٢٨ هـ (٥٦١:١)
- [٣١] الإمام أحمد بن حنبل، المسند: المكتب الإسلامي - طبعة مصورة من الطبعة الميمنية ١٣١٣ رقم حديث ٢٢١٦
- [٣٢] دراسات في تاريخ الخط العربي، ص/٤٣
- [٣٣] صبح الأعشى (١٤٧:٣)
- [٣٤] نفس المرجع
- [٣٥] دراسات في تاريخ الخط العربي، ص/٤٣
- [٣٦] نفس المرجع
- [٣٧] نفس المرجع
- [٣٨] صبح الأعشى (١١:٣)
- [٣٩] نفس المرجع
- [٤٠] دراسات في تاريخ الخط العربي، ص/٧٩
- [٤١] نفس المرجع